تركيا حاضرها ومستقبلها

الاتراك في مراقصهم وعشعشاتهم

يودُّ كثيرون من ابناء العربية ان يروا الاتراك عن كثب في عاصمتهم الجديدة لا كما يظهرون لرجال السياسة بل كما يراهم من يعاشرهم . وقد اتفق لسيدة انكليزية ان زارت انقرة في الشتاء الماضي واقامت فيها اياماً ورأت رجالها ونساءها الذين اقتبسوا الاساليب الاوربية والذين احتفظوا باساليبهم القديمة. وقالت ان في القسم القديم من المدينة عشرة آلاف من الملاحين الاناضوليين لا يزالون يلبسون ثياباً غزلوها ونسجوها كما فعل اسلافهم من قبلهم متجاهلين ما فعلهُ اهل التجديد نساؤهم يتبرقعن ويخضبن ايديهن بالحناء ورجالهم يلبسون الطربوش في بيوتهم ويجلسون القرفصاء. اما اهل التجديد فيتشبهون بالاوربيين رجالهم يلبسون البرانيط ونساؤهم يقصصن شعورهنَّ و يقصرن ثيابهنَّ الى الركب و يجلسون كلهم حول طاولة البردج و يرقصون رقصة fox-trot (قنزة الثعلب)

والفرق بين العتيق والجديد كبير جدًّا في كل القطر كأن الفريقين ليسا من امة واحدة . و يظهر الفرق على اشدهِ في بيوتهما فان المدينة القديمة مقربعة في اسفل اكمة عالية تسمى جان قيا اي روح الصوان بيوتها صغيرة متلاصقة مزدحمة مبنية باللبن (الطوب الاخضر) والمدينة الجديدة قائمة على الاكمة مبانيها كبيرة وشوارعها واسعة مرصوفة بالبلاط في واجهات دكاكينها حناجر الطيوب وادوات الزينة . يقف رجال الشرطة (البوليس) في ملتقى الشوارع يشيرون للمارة في عرباتهم او سياراتهم ان يقفوا او يسيروا كما يفعل البوليس في شوارع القاهرة .ومما دهشت لهُ الكاتبة اشد الدهش عدم الفصل بين الرجال والنساء. قالت انهُ لما حدث الانقلاب السياسي سنة ١٩٠٨ ابيح للنساء في الاستانة ان يحضرن الاجتماعات العمومية لكن قبل قيام مصطفى كمال لم تكن المرأة التركية تستطيع ان تدخل مطعماً (رستوران) من غير ان تتعرَّض للتوقيف اما الآن فصار جلوس النساء والرجال حول طاولة البردج ورقصهم معًا كما يرقص الاوربيون من الادلة عندهم على مساواة الجنسين

ولما صدر القانون المدني الذي يمنع الضرار أُطلقت المدافع في انقرة ترحيباً به لانهُ اثبت مساواة الرجال والنساء. وما المراقص الاَّ ادلة قاطعة على نزع البرقع .وقبل الرقص

تصدح الموسيقى فيقف الرجال في صف وحدهم و يقف النساء في صف آخر مقابل صف الرجال كأنهم يتذكرون الفصل القديم بين الجنسين ويضحكون ثم تصدح الموسيقى ويقترب الصفان و يدور الرقص الافرنجي المعتاد

دعيتُ مرة الى حفلة رقص في دار الحزب الجمهوري وكان في بهو الرقص حشد كبير من كبار رجال الحكومة وضباط الجيش ووكلاء الدول واتفق ان شاباً رأى اسماء الذين اختارتهم خطيبتهُ ليرقصوا معها فاعترض على رقصها مع بعضهم . فقالت لهُ جهاراً انها ترقص مع من تشاء ولا سلطة لهُ عليها ولما اصرَّ على طلبهِ نزعت خاتم الخطبة من يدها واعطتهُ اياهُ وقامت ترقص الى ان ختمت حفلة الرقص في الصباح

الا ان اجتماع الرجال والنساء على هذه الصورة لم يقع دفعةً واحدة بل تدريجاً ولم يقدم عليهِ نساء الوزراء وغيرهم من كبار رجال الحكومة الا بعد ما اوصى بذلك مصطفى كمال

والظاهر ان وكلاء الدول يتخذون حفلات الشاي والرقص ذريعة للبحث مع وزراء انقره في مسائلهم السياسية مثال ذلك ان المسيو البر صرو (Serraut) مندوب فرنسا جاء انقره وجعل يولم الولائم و يقيم حفلات الرقص في دار البنك العثماني لتوطيد علاقات الصداقة بين فرنسا وتركيا والاتفاق على مسألة الحدود . وهذا شأن الروس والظاهر انهم احكم من غيرهم لانهم اقاموا لسفارتهم بناية فخمة في انقرة واناروها بالنور الكهربائي فتظهر كواكبا في الليالي ممتازة على كل مباني انقرة . وتمتاز ولائمها بما يقدم فيها من الكافيار والشمبانيا وكثرة من يختلف اليها من رجال الحكومة وعلى الضد منها سفارة اليونان حيث يقل من يؤمها

والروس (اي السوفيت) قلما يدعون فرصة تمرُّ الاَّ اظهروا فيها تأييدهم للاتراك . فلما ذهب موسوليني لزيارة طرابلس الغرب واوجس الاتراك من انهُ سيتبع هذه الزيارة بالهجوم على ازمير احتفلت سفارة السوفيت احتفالاً رسمياً يرفع عملها على سفارتها حضرهُ مصطفى كمال بصفتهِ رئيساً للجمهورية التركية وسمهُ كل وزرائها . وجلس مائتان من الاتراك رجالاً ونساء في غرفة الرقص وهم يوجسون شرًّا من ايطاليا وكلهم كاره للحرب ولكنهم يحسبونها صارت قاب قوسين او ادنى . وكان سكرتير السفارة الايطالية هناك فوقف حائراً في امره ثم وقعت عينهُ على السر رونلد لندسي الذي اتفق وجودهُ هناك فلجأ

اليد ، كأنهُ احتى به. وصدحت الموسيقى حينئذٍ ودارت الشبابا ودام الرقص الى الفجر واشرقت الشمس فلما خرج آخر مدعو من مغارة السوفيت

ولا يأنف الاتراك من رقصتهم الوطنية القديمة المعروفة بالزيبق ولقد رأيت عصمت باشا يرقصها والوزراء يصفقون لهُ مع انها اصلاً من رقصات الفلاحين . الاَّ ان الحكومة الحالية رفعت مقامها وجعلتها رقصة وطنية

قيل لرجل من العامة مرةً انهُ يرقصها فامتنع قائلاً انها صارت خاصة بالوزراء . والظاهر ان مصطفى كمال اكبر مشجع لها وامهر راقصيها واذا قام ليرقصها نظر اليهِ رجالهُ نظر الاحترام والوقار كأنهُ المعبود ديونيسوس عند اليونان وتراهُ وهو يرقص وينقر باصابعهِ قوةً عجبةً . وهو نحيف الجسم ولكنهُ مجدول العضل عريض المنكبين يراق العينين

ولقد رأيت كبار رجال الحكومة يرقصون هذه الرقصة بثياب السهرة ونساؤهم بالثياب المكشوفة العنق والساعدين (décolletés) . دعيت مرةً الى ليلة راقصة في بيت احد النواب وكان مصطفى كمال بين المدعوين فجلس على كرسي قرب نافذة من النوافذ يسمع الموسيقى ويتبعها بهزة رأسهِ ويشارك العازفين بالتصفيق . وتلا يحيى كمال حينئذٍ قصيدة حماسية ولما وصل الى ما معناهُ

الترك قومي وان اسيتُ منفرداً في الكون فالحرب شأني او يراق دمي

دوى المكان بالتصفيق الحماسي ونادى مصطفى كمال براڤو براڤو

ولكن الحرب لا تخطر ببال الاتراك الآن لانهم مشغولون عنها باصلاح بلادهم . انتهى باختصار كثير

***

يرى الكاتب فيما تقدم صورة مجملة لما حدث من التغيير المنزلي في تركيا اما الرقص ولعب البردج فمن قشور العمران الاوربي لا من لبابهِ ولا شأن لها الاَّ من حيث اشتراك النساء مع الرجال فان نساء الامة نصف مجموعها وقواهنَّ العقلية ومقدرتهن الادارية ليست دون قوى الرجال ومقدرتهم . ويظهر لنا مما قرأناهُ عن احوال تركيا الاقتصادية انها قاصدة الاقتداء بالممالك الاوربية في كل شيء فهل تتمكن من ذلك وبكم من الوقت وهل يحسن بغيرها من الممالك الشرقية ان يقتدي بها . هذه مسائل تقتضي بحثاً طويلاً نودُّ ان يطرقهُ جهابذة كتابنا لعلَّ فيهِ ما ييسر السبيل لدى هذه الممالك